الدكتور عمر الطالب

الفن القصصي عند العرب وحركة التحرر العربي

حاولت الامة العربية فيما تقضى من سنوات هذا القرن، أن تبحث عن ذاتها وتحدد شخصيتها، بعد أن أنطمست معالم هذه الشخصية، بتأثير عوامل خارجة عن ارادتها بدوافع استعمارية، أسكتت الالسن الحرة في وطننا. فقد وجدت البلدان العربية نفسها تحت وطأة الاحتلال الأجنبي منذ أن أستباح هولاكو والفرنجة والاقوام الأجنبية هذا الوطن. فوجدت نفسها ترزح تحت أشياع لهذا الاستعمار في الداخل. ولقد لعب هذا أو ذاك دوراً خطيراً في توجيه أقتصاد هذه البلدان كما وجه الفكر وجهات مختلفة نحو خدمة هذا الاقتصاد. وكان لهذا وذاك تأثيره الفعال على الادب العربي عامة، وعلى لغة الاداء والتعبير لهذا الأدب خاصة. فقد أصبح الأدب وسيلة ارتزاق وواسطة للتقرب من الحكام ومسح الأعتاب وإهدار ماء الوجه من أجل لقمة تقيم الأود أو مال يتنعم به، أو منصب يتربع فوقه أنتهازي يحرك من قبل أعداء الوطن.

ولم تكن القصة والرواية قد دخلتا بعد ضمن اطار الأدب. فقد كان الأدب للخاصة وكانوا ينظرون الى هذين الجنسين الأدبيين نظرة ازدراء وأحتقار حتى اوائل هذا القرن وكأنهم استلهموا أحتقارهم لهذين الجنسين الادبيين من أحتقارهم لألف ليلة وليلة العظيمة، التي خلقت الأدب القصصي في الغرب، وأضفوه على كل نتاج قصصي، ولم يجدوا في السير الشعبية كالهلالية والعنترية وغيرهما من القصص الشعبي غير أداة لتسلية العامة وإبعادهم عن قضيتهم

الأصلية وسط حشيش هذه المغامرات التي تعج بها هذه السير لابعادهم عن الفضائح التي كان يرتكبها الحكام بواسطة مسارب جانبية وخصومات فردية في المقاهي والمجتمعات الخاصة،التي تقرأ فيها هذه السير،فقد كانت السير وسيلة من وسائل الالهاء السياسي ينظر اليها الخاصة بأحتقار على أنها أدب شعبي وجد للضحك من الشعب ولابعاده عن الصراع من أجل حياة كريمة.

وقد ظهرت القصة منذ نهاية القرن الماضي،وبداية القرن الحاضر عاملا فعالا في إبراز المقومات الوطنية بروح ايجابية بناءة،وأخذ القصاص دورهم القيادي في الدعوة الى الوطنية المستوحاة من النظريات الاجتماعية،والمفاهيم الفكرية الحديثة،فقد عبرت المقالات القصصية(لعبدالله نديم)التي كتبها في جريدة التنكيت والتبكيت عام ١٨٨٠ عن الكفاح التحرري ضد الاستعمار،وخير مثال على ذلك قصة(مجلس طبي لمصاب بالفرنجي)فقد عرض فيها قضية الدين العربي،الذي وقعت مصر فريسة له على يد الخديوي اسماعيل،بسبب اسرافه ولهوه،حيث تدخل الاجانب بحجة الدفاع عن هذا الدين.واستخدم الكاتب الرمز لتعميق الصورة أو للتخلص من المسؤولية آنذاك،فقد رمز الى مصر بشاب أصيب بالزهري نتيجة لاتصاله بفتاة مريضة بهذا الداء،والفتاة ليست الا الاستعمار الانكلو–فرنسي.(١)

وقد ساعدت مثل هذه المقالات القصصية في تنبيه الرأى العام المصري للوقوف ضد السياسة غير الصائبة التي انتهجها الخديوي اسماعيل وكبل فيها مصر بقيود ثقيلة رزحت تحتها فترة طويلة من الزمن.

ونلمس مثل هذا الاتجاه في المقالات القصصية التي نشرت في الصحف العراقية،التي كانت تتسم بالطابع القومي منذ عام ١٩١٠ مثل(رؤيا عربية)(٢) وتتلخص هذه الرؤيا بأن الراوي يرى في المنام نوراً وهاجاً يسأل عن مصدره

---

(١) عباس خضر،أدب المقاومة ص ٤٦.

(٢) مجلة لغة العرب،ج٤ص١٩٨ لعام ١٩١٣.

فيخبرونه بأنه العروبة ويستطرد الكاتب بدعوته السياسية ويطالب بتعليم اللغة العربية في المدارس العراقية، بدلاً من اللغة التركية. ويذكر مآثر كل قطر من الاقطار العربية ويدعو الى الرابطة القومية التي تعيد للعرب مجدهم الغابر.

وتتوالى المقالات القصصية في مجلة(لغة العرب)التي كان يصدرها(الأب أنستاس الكرملي)والتي تبنت هذا الأتجاه بين عامي ١٩١٣-١٩١٤، الذي دعا دعوة قومية واضحة ساندتها الجمعيات السياسية الوطنية التي انتشرت في العراق وفي العالم العربي بأسره.

ولم يقتصر النضال السياسي على المقالات القصصية فقط. بل تعداه الى اللون الجديد-أدب القص-الذي أخذ يطرق باب الادب العربي بقوة. فهذا المويلحي في(حديث عيسى بن هشام)١٩٠٦، يصور مفهوماً قومياً في بعث(الباشا) وخروجه من عالم الأموات الى دنيا لم يعهدها في رحلة بحث فيها عن الحقيقة في كل مكان، ولم تكن هذه الحقيقة غير روح مصر البرجوازية المتطلعة الى التحرر من ربقة السيطرة التركية. حيث يقوم الباشا وعيسى بن هشام برحلتين احداهما داخلية محلية تمتد في الزمان والمكان الى عصور متتابعة.(١) ويعرض في هذه الرحلة انماطاً عدة من الوان الحياة في مصر في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين، ينقد فيها الكاتب نقداً موضوعياً ساخراً تلك المظاهر الاجتماعية المتخلفة عن طريق تصارع الافكار بين الباشا وعيسى بن هشام والنماذج المختلفة للبرجوازية المصرية والمثل الاعلى في الحياة الاجتماعية المتمثل في مصر البرجوازية آنذاك، وعندما يتعرض المويلحي الى ارستقراطي الاستعمار التركي، واتباعهم من العلماء والمشايخ والى الاستعمار الانكليزي وذيله المتمثل بالمتفرنجين، فانه يصورهم جميعاً تصوير الاعداء الذين يعوقون مصر الناهضة عن الحركة والتطور ويشدونها الى ماض يجب أن تتخلص منه، ويمنعونها من التحرك الى المستقبل الذي كانت البرجوازية المصرية تحلم

---

(١) علي الراعي: دراسات في الرواية المصرية، ١٣.

بالانتقال اليه.فقد نشطت البرجوازية المصرية المهاجمة،وحطمت قيم ما سبقتها من مجتمعات متأثرة بالروح التركية،وقدمت قيماً جديدة محل قيمها القديمة، قيماً أساسها الايمان بالعلم الحديث،وبناء مجتمع قوي دأبه التحرر من السيطرة الأجنبية.أما الرحلة الخارجية في فرنسا،فقد جاءت مناهضة للاستعمار المضطهد للشعوب.لذا يعد حديث عيسى بن هشام بالاضافة الى النقد الاجتماعي الساخر عملا وطنياً تحررياً مناهضاً للاستعمار.(١)ولا أريد أن أبحث طبيعة هذا العمل هل يغلب عليه فن الرواية كما يرى الدكتور علي الراعي في كتابه(دراسات في الرواية المصرية)أم يغلب عليه فن المقامة كما يرى الدكتور عبدالمحسن طه بدر في كتابه(تطور الرواية العربية)لان مثل هذا الحديث لا يدخل في مجال بحثنا هذا.

وتدخل رواية(زينب—١٩١٤)لمحمد حسين هيكل في هذا المضمار التحرري لما تضمنته من حنين الى الوطن وتصوير للطبيعة المصرية وجمالها ومحاولة لاظهار الصراع الطبقي والاستغلال من الناحية الاقتصادية والاجتماعية والعاطفية (٢).وقد تطرق الكاتب الى تصوير الريف المصري بعاداته وتقاليده وطيب أهله ومعتقداته،كل ذلك لنقد الواقع من جهة والالتصاق بأرض الوطن من جهة أخرى وهو مغترب للدراسة في فرنسا رغم أن الكاتب يقع في تناقضات عدة. وتبدو شخصياته سلبية لا تقوى على تغيير الواقع الآسن الى ما هو أفضل،وقد صدرت عن وجدان وطني خالص فكل ما كان يهدف اليهمؤلفها هو تمجيد مصر والتغني بها،واظهار شخصيتها واذابة كل شخصية أخرى دخيلة عليها.

وقد تناولت قصص أخرى الصراع الدائر بين الفلاحين والأعيان من غير العرب في مصر وثورتهم ضدهم والمطالبة بحقوقهم في التعلم والحصول على حقوقهم المشروعة.وخير مثال على ذلك قصة محمد تيمور(في القطار)١٩١٧ من

---

(١) المصدر السابق،ص١٤.

(٢) عباس خضر،أدب المقاومة ص٤٧.

مجموعته(ما تراه العيون)«وهي تمثل ثورة على ظالمي الفلاح من الشراكسة والأعيان ومطالبة لحقه في التعليم والمعاملة الكريمة»(١)وقصص عيسى عبيد في مجموعته(احسان هانم)الصادرة عام ١٩٢٢ وخاصة قصة(مذكرات حكمت هانم)التي«صور فيها ثورة ١٩١٩ وخاصة مظاهرات السيدات ووقوفهن أمام رصاص الانجليز في الشوارع وفي القصة نزاع عنيف بين رجلين أحدهما مسيحي والآخر مسلم ينتهي بالصلح والتآخي وسط الظواهر والعواطف الوطنية الرائعة» (٢)ومجموعة شحاتة عبيد(درس مؤلم)الصادرة عام ١٩٢٢ أيضاً وخاصة قصة (الصلاة)التي«يتحدث فيها عن سوق الاحسان الخيري الذي أقيم سنة ١٩٢٠ وبيعت فيه بالمزاد صورة لسعد زغلول بمبلغ ٧٢٠ جنيهاً تعبيراً عن تقدير الشعب لجهاد الزعيم الكبير»(٣).

وكتب محمود حقي رواية(عذراء دنشواي)للتعبير عن حادثة دنشواي الخطيرة التي أدت الى الفوران الشعبي.وتروى الرواية الاعتداء الواقع على الشعب ومقاومة الفلاحين لهذا الاعتداء،وما أعقب ذلك من محاكم ظالمة وشنق الوطنيين الذين وقفوا ضد الطغيان(٤).وما الصراع الدائر خلال رواية(عودة الروح)١٩٣٣ لتوفيق الحكيم الا تثبيت للروح الوطنية وتمجيد للحياة التي يحياها الفلاح في الريف«فأهل المدن وأهل القرى في عودة الروح في حالة تأهب ثوري ينتهي بأنفجار عنيف،وأبطال الرواية كلهم يسعون الى تحسين أحوالهم وكلهم يتطلع الى أن يحدد لنفسه مستقبلا جديراً بآماله ومواهبه»(٥)حيث يلقي عبده بنفسه في غمار الثورة كما القت مصر نفسها وراء قائدها سعد زغلول في خضم ثورة ١٩١٩.وقد أقتسموا الأعمال كل حسب قدرته فمنهم من أسهم في طبع المنشورات ومنهم من نظم الجمعيات السرية ومنهم من شارك مشاركة

(١) المصدر السابق ص٤٨.
(٢) عباس خضر،المصدر السابق ص ٤٨.
(٣) عباس خضر،المصدر السابق ص ٤٨.
(٤) عباس خضر،المصدر السابق ص ٤٧.
(٥) علي الراعي،المصدر السابق ص ١٠٨.

فعالة في القتال كل ذلك لمقاومة الاستعمار والتعسف.ويمجد توفيق الحكيم حضارة مصر الزراعية ويتطلع الى مستقبلها الصناعي،فالرواية لا تقدس الماضي وتدعوه الى العودة بل تلجأ اليه لتدعيم الحاضر والتهيئة للمستقبل.

وكما شارك الفن القصصي المصري في ثورة ١٩١٩،فان الفن القصصي في العراق دخل هو الآخر ميدان ثورة العشرين.فقد دارت رواية(جلال خالد) ١٩٢٨ لمحمود أحمد السيد في هذا الاطار.كما تروى رواية في(الفرات الاوسط) ١٩٣١ لمحمد حسن النموي أيضاً أحداث ثورة العشرين،وتألب عشائر الجنوب ضد الاحتلال الانكليزي.ودارت أحداث قصة(نجم البقال)(١)ليوسف رجيب في النجف أبان ثورتها ضد السيطرة الانكليزية وازدحمت بالحقائق المأخوذة من الواقع التي تبعث على الحماس والثورة.الحاج نجم رجل في الستين من العمر يملك دكاناً للبقالة في السوق الكبير في النجف يبيع فيها الخضار والتمر،يضيق صدره بأفعال الانكليز فيتزعم جماعة من الشباب ويدخلون(السراي)بعد أن يخدعوا الحراس بأعتبار أنهم يحملون رسالة هامة الى القائد في داخل(السراي) يقتلون القائد وعدداً من الجنود الانكليز ثم يهربون،وفي الصباح يذهب الحاج نجم الى حانوته ويسأل بوداعة وبساطة عن أصوات إطلاقات النار التي سمعت في الليل.وكان هذا الحادث الشرارة التي انبعثت عنها الثورة حتى شملت النجف بأسره.وقد تحدثت قصص عراقية كثيرة عن هذه الثورة.

ودارت أحداث قصص أخرى حول الحرب العالمية الثانية،وما قاساه العراق من أهوال،وخاصة مدينة الموصل التي عانت من المجاعة الشيء الكثير عام ١٩١٧،وقد أوردها بهنام وديع في روايته(الايام العمياء والناس الحمقى)بشكل تسجيلي،وما فعله البعض من قتل الاطفال،وأكل لحومهم بالاضافة الى أكل القطط والكلاب.كما تعرض للصراع الدائر بين الاهلين والقوات العثمانية المسيطرة.كما تعرض ذنون أيوب في مجموعته(الكارثة الشاملة)١٩٤٤ لهذه المآسي التي مات من جرائها المئات.وأول من عالج موضوع الصراع العثماني

(١) جريدة الانباء البغدادية،العدد الثاني،١٩٥٤.

العراقي محمود أحمد السيد في قصته الطويلة(في سبيل الزواج)١٩٢١،وهي مليئة بالأحداث المتتابعة والاعمال البطولية الخارقة،ثم أعاد الكرة في قصته الطويلة الثانية(مصير الضعفاء)١٩٢٢.حيث عرض لنا الصراع الدامي بين (ابراهيم)الضابط العربي الذي يحب(زهراء)أخت القائد التركي.وبين هذا القائد الشرس المستبد.حتى يتغلب عليه ويودعه السجن وينكل بأمه ولكن زهراء تثأر لهما وتقتل أخاها.وقد عوض الكاتب في قصته هذه عن آماله المحطمة بعد أن أصابت وطنه نكبات متوالية من احتلال انكليزي بعد استعمار عثماني ومن فشل لثورة العشرين التي ضحى فيها الشعب العراقي بأرواحه في سبيل التخلص من السطيرة الاجنبية.وقد غلبت النزعة التعليمية على هاتين القصتين.(١)أما قصة يوسف رجيب(الشيخ قادر)(٢)فتدور في العمارة وفي بيئة صيادي السمك. حيث أرسل القائد التركي جاويشاً على رأس أربعين من فوارس(الجندرمة) لمراقبة.دكان الشيخ قادر.وعرف الشيخ بالامر.استمال الجاويش بالمال،كتب الجاويش للقائد تقريراً يمدح به الشيخ قادر وينفي عنه الاخبار السابقة.

وتعد(الرواية الايقاظية)١٩١٩لسليمان فيضي رواية تعليمية،إذ يحاول المؤلف فيها انقاذ المجتمع من العادات والتقاليد والتعاليم التي غرسها المستعمرون العثمانيون في البيئة العراقية،وتطهير هذه البيئة من قيمهم المتهرئة.وإن لم تتطرق للنضال السياسي بين الشعب العراقي والسلطات العثمانية.

وقد برز النضال ضد السيطرة العثمانية في القصص الشامي عامة كرواية (الاسهم النارية)لانطون الصقال.وروايات ميخائيل الدلال(النفح العاطر في الفتى المهاجر،احسان الانسان،الفتاة الخرساء)وروايات نعمان عبده القصطالي (الفتاة الامينة وأمها،مرشد،فتنة وأنيس)وأهمها رواية انطون الصقال(العبر) ١٩١١.

---

(١) عمر الطالب،الرواية العربية في العراق ص٨.

(٢) مجلة الاعتدال،العدد العاشر،١٩٣٥.

وقد لجأ بعض القصاص في أرجاء الوطن العربي الى المقارنة بين الاوضاع المتردية في الوطن العربي،وبين الحضارة الاوربية،وكانت قصصهم ورواياتهم دعوة الى التخلص من حالة التخلف هذه.وهذا لا يتم طبعاً الا بالتخلص من السيطرة الاستعمارية،فقد ظهرت في العراق رواية آكوب كبرائيل(عجائب الزمان في صرح عروس البلدان)١٩٢٨،وقد أقتدى فيها بروايات فرح أنطون (اورشليم الجديدة أو فتح العرب لبيت المقدس،الدين والعلم والمال أو المدن الثلاث،الوحش الوحش الوحش أو سياحة في أرز لبنان).

ونحن نلمس هذا الشعور الوطني ضد الاستعمار في القصص الشاميعامة اذ يحدثنا فؤاد الشايبعبر مجموعته(تاريخ جرح)-ومعظم اقاصصيها كتب بعد الثورة السورية عام١٩٢٥ولكنها لم تضم في مجموعة جميع قصصه حتى عام ١٩٤٤-باسم الجيل.كله، ففي القصة التي تحمل اسم المجموعة صراع بين (حسان)فتى القرية الفار من الجندية وبين الضابط التركي الذي قبض البدل عن حسان اخته«وأذل من أجل ذلك أهل القرية حتى كان يوم ركضت فيه الفتاة الى ساحة القرية فمزقت ملابسها أمام الملأ فدبتالنخوة في الناس وهاجموا الضابط الظلوم بالقتل واما حسان فقد مجد لاخته عريها الشريف بأن طعنها في صدرها وهي تقبل يده شكرانا لتلك الطعنة»(١)وفي قصته«جموح القطيع»يتعرض لزعيم وطني مناضل ضد الاستعمار اتهم بالخيانة اتهاماً غير مقطوع بصحته فيتعرض خادمه للفتاك من قبل الشعب ظناً منهم بأنه الزعيم الوطني.ويتعرض(نسيب الاختيار)في مجموعته(طيف الماضي)التي لم يجمع فيها كل نتاجه للقضايا الوطنية النضالية كما في قصة(الحصادة)التي تصور الصراع الدائر بين الالة التي جلبها الاقطاعي الاجنبي لتحل محل الايدي العاملة وبين الفلاحين الذين يهددون بحرق الحصادة لانها سببت لهم البطالة.اما روايته(سقوط الفرنك) ١٩٣٧فنصور العمال والحركة العمالية في سوريا حيث يتكتل السجناء السياسيون

---

(١) شاكر مصطفى،محاضرات في القصة السورية ص٣٣٤ .

ويتابعون نضالهم لتحقيق الحركة النقابية والقضاء على السيطرة الاجنبية.اما قصص ميشيل عفلق فهي«لاتستقي من مشاكل المجتمع ولا تتحدث عن الحب ولاتصف مظاهرة أو تعكس بؤس عامل كادح، القضايا الاجتماعية أو الخلقية أوالسياسية لاتهمه الا بمقدار علاقتها بما هو اهم منها: حياة الانسان، فالانسان أولا، والموقف الانساني هو مايجب ان تعبر عنه القصة.وهو يعالج مشاكل التمرد، الشرف، الكرامة، الحقيقة، الحرية، من خلال الحياة الانسانية، ويشرف على الافق الميتافيزيكي لمشكلة الحقيقة او الحرية بالسهولة التي يشرف بها الكتاب الاخرون على احداث الحياة العادية...وهو لايقارب تلك الموضوعات من جانبها الفكري ولكن من جانبها الانساني الذي عاشه هو نفسه في اعماقه».(١)

وقد بشرت قصص ميشيل عفلق بالروح القومية النضالية وأثرت قصصه مثل (انسان جديد، (٢)الصفقة، (٣)شيطان نصف الليل، (٤)رأس سعيد افندي، (٥) موت السندباد(٦)وغيرها من القصص في جيل الكتاب السوريين والعرب كمطاع صفدى مثلا. وهكذا بدأت ظاهرة التمرد آنذاك تنتشر لا في نطاق السياسة فقط بل بالنسبة للحياة كلها«ولكن التمرد الذي دعا اليه الاستاذ ميشيل عفلق كان أشمل وأعمق. كان التمرد المبدع الذي يقود الحياة الى توترها الاعلى ويستنزف كل خصبها كان الاستاذ عفلق يلوك المشكلة بفكر يريد ان يطلق كل امكانيات الوجود الانساني معاً»(٧).

وهكذا بدأ الفن القصصي المعاصر يتخلص من المظاهر السلبية واتجه الى ابراز المقومات الوطنية والقومية بروح ايجابية بناءة وأخذ كتاب القصة والرواية

(١) شاكر مصطفى، المصدر السابق، ص٣٢٣-٣٢٤.
(٢) جريدة الايام ١٦ تشرين الثاني ١٩٣٤.
(٣) الايام ٣١ مايو، ١٩٣٥.
(٤) الايام، ١٩، ٢٨ يناير ١٩٣٥.
(٥) الايام ٢١ حزيران ١٩٣٥.
(٦) مجلة الطليعة، العدد الخامس، ١٩٣٦.
(٧) شاكر مصطفى، المصدر السابق، ص٣٢٥

دورهم في الدعوة الى الفكر الوطني والتحرري معاً على اسس قويمة مستمدة من طبيعة الامة العربية ومستوحاة من النظريات والمفاهيم الفكرية الحديثة.

فقد دارت روايتا شكيب الجابري(قدر يلهو)١٩٣٩و(قوس قزح)١٩٤٦، وهما في الحقيقة رواية واحدة في جزئين-في جو«الثورة العربية لسنة١٩١٦،التي كانت ترمي الى التحرر من النفوذ التركي وانشاء دولة عربية»(١).اما رواية (الرغيف)لتوفيق يوسف عواد فقد «صور فيها اليقظة العربية وبعث الروح العربي على مستوى يشمل مختلف البلاد العربية مع الدعوة الى الوحدة بينهما»(٢)، وتحت ضغط الاحساس بالانسحاق الوطني واهدار الكرامة العربية العربية من من جراء السيطرة الاستعمارية دقت الرواية التاريخية باب الفن القصصي لايقاظ الهمم وبعث اليقظة العربية العربية المتمثلة بالسلف وعرض بطولات الاجداد ورفضهم للرضوخ ونشرهم لواء العدل في الامصار ليكونوا قدوة لهذه الامة التي كانت ترزح تحت سياط الاستعمار،فاستلهموا من التاريخ العربي الاحداث للتعبير عن الروح الوطني لتصعيد النضال ضد الاستعمار كما فعل (معروف الارنووط)في روايته(سيد قريش)١٩٢٩وقد قسمها الى ثلاثة أجزاء (سطيح وامرؤ القيس.تيودورا،رايات ذي قار)ثم ظهرت روايته الثانية(عمر بن الخطاب)عام١٩٣٦وتقع في أربعة أجزاء(تحت راية سيد قريش،فرسان اليرموك.خالد بن الوليد،آخر ملوك غسان)ثم اصدر روايته التالية(طارق بن زياد).

وقد شاعت فكرة النزوع الى الماضي والعناية بأمجاد الاجداد وتصوير البطولات كمظهر من المظاهر الوطنية والقومية على نطاق الوطن العربي كله كما في روايات جرجي زيدان وعلي الجارم ومحمد فريد ابو حديد ومحمد سعيد العريان وعلي احمد باكثير ومحمد عوض محمد وعادل كامل ومحمد السباعي وابراهيم المصري وغيرهم.وهذا مافعله القصاص في العراق حيث لجأوا الى

(١)و(٢) عباس خضر،المصدر السابق ص٦٣.

التاريخ العربي يستوحونه البطولات لتحقيق الدفع التحرري واشعال الروح المتوثبة في نفوسهم للتحرر كمافعل يوسف غنيمة في(غادة بابل)وعبد المسيح بلايا في(سبي بابل)وعبدالله حسون في(أرينب)ومحمد طاهر توفيق في(قصة يوسف) وطاهر) العميد (المسلم الثائر) وسليمان صائغ في(يزداندوخت) وشعبان رجب الشهاب في (سلمى التغلبية)وداؤد سلوم في (عهد مضى) .

وقد كان للصراع الجزائري الفرنسي أثر كبير في الادب الجزائري «ونستطيع ان نؤكد ان القصة القصيرة الجزائرية عاشت عصراً ذهبياً أيام ثورة نوفمبر التحريرية أما بعد الاستقلال وحتى اليوم فأنها لم تحقق بأي حال ماكان يرجو منها من تقدم وتطور وثراء...وهنا نتساءل أين اذن هؤلاء القصاصين الذين لمعت اسماؤهم وازدهرت على أيديهم القصة خلال الخمسينات؟ والجواب انهم موجودون ولكن الحافز اختفى فقل انتاجهم...والواقع ان الثورة كانت من اقوى عوامل تطور القصة وازدهارها...فقد وجد الكتاب فيها المنبع الخصب الذي يغترفون منه فاستمدوا منها—ابطالهم—من دنيا الواقع وسط الدم واللهيب فهم اناس بسطاء عاديون ولكنهم عرفوا طريق الحرية».(١) وقد ابرزت روايات الكاتب الجزائري محمد ديب(الدار الكبيرة،الحريق،النول صيف افريقي،من الذي يذكر البحر)ورواية مولود فرعون(ابن الفقير) والاعمال القصصية لكاتب ياسين،واسيا جبار الصراع الدائر بين الشعب الجزائري والقوات الفرنسية المستعمرة بصورة تجمع بين الواقعية الفنية وبين الرمز المؤثر،وكانت كلماتهم لاتقل اثراً عن رصاص الفدائيين. وتكمن مأساة هؤلاء الكتاب الجزائريين في انهم لايحسنون الكتابة باللغة العربية بسبب محاولة المستعمرين الفرنسيين القضاء على هذه اللغة لجعل الجزائر جزء من فرنسا.فكتبوا مأساتهم بلغة اعدائهم.والى جانب هؤلاء القصاص نجد كتاباً تناولوا موضوع الثورة الجزائرية في قصصهم ودونوها باللغة العربية بعد ان ظل موضوع الثورة يتناول من قبل القصاص حتى بعد نيل الاستقلال مثل(البهي

(١)عبد الله ركيبي ،البطل في القصة الجزائرية القصيرة،مجلة الآداب،العدد ٧، ١٩٧٣.

فضلاء)في مجموعته(دقت الساعة)و(ابو العيد دود)في مجموعته(بحيرة الزيتون) و(الطاهر وطار)في مجموعته(طعنات)و(زهور ونيسي)في مجموعتها(الرصيف) النائم(الى جانب قصاص آخرين لمعوا في الاولأ نة الاخيرة مثل(عبد الحميد هدوقة ، عثمان سعدى ، حنفي بن عيسى)(١)ففي قصة(اثنان وثلاثون طلقة)لعثمان سعدى «نلتقي بشاب جندي جزائري تطوع في الجيش الفرنسي ايام حرب الهند الصينية وبعد رجوعه التحق بجيش التحرير بعد ان اقتنع بأن الثورة قامت لصالح الشعب وليس كما يصورها له الفرنسيون عبارة عن تمرد لجماعة خارجة على القانون»(٢). اما في قصة(الفجر الجديد)لابي العيد دودو فقد تناول فيها المشكلة بشكل آخر ، حيث يعرض علينا موظفا حكوميا يعمل في الادارة الفرنسية قانعاً بحياته محبا لزوجته لذا فهو لايتفاعل مع الثورة الجزائرية بل يتعامل معها بشكل سلبي . مما يدفع زوجته الى السخرية منه ، فيندفع هو الاخر الى الشك بها خاصة وهي كثيرة التغيب عن الدار ، فيهجر حياته الامنة ويلتحق بالجبل هروباً من واقعه المؤلم ، وهناك يتبين أن زوجته تعمل مع الثوار ويتأكد له اخلاصها وتفانيها في سبيل القضية فيندفع الى العمل مع الثوار بروح جديدة وايمان مطلق بالثورة.(٣)وقد جاء تصوير البطل تجسيداً كاملا بأبعاده الاجتماعية والنفسية والفكرية والفيزيكية المتسقة مع دوافعه وتصرفاته الناجمة عن هذه العوامل ، مع الايمان المطلق بقضية متجذرة في اعماقه وان لم يكن قد وعاها بعد.

أما في ليبيا فقد عاش الاحتلال الايطالي والاستعمار الجديد والقواعد الاجنبية وبقى الانسان الليبي محاصرا من قبل هذه القيود التي خلفت الفقر والجهل والمرض . ولم تعالج القصة الليبية في مرحلتها الاولى مشكلة الصراع السياسي فقد وقعوا في «أسر اللغة وطغيان التراكيب اللغوية على الشكل الفني وعلى المحتوى معا».(٤)وقد برز في المرحلة الثانية القاص (علي مصطفى المصراتي) في مجموعته (الشراع الممزق) ١٩٦٣. وتبرز وسط القصص الاجتماعية قصة

(١، ٢، ٣)عبدالله ركيبي المصدر السابق

(٤) أحمد محمد عطية ، القصة والانسان في ليبيا ، الآداب ، العدد ٦، ١٩٦٨.

(سليمان شنابو) التي تعالج مشكلة استغلال الشركات الاجنبية للبترول الليبي، «وسليمان شنابو عامل بترول يوضح كيف يمتص الاستعمار الجديد دماء الانسان الليبي العامل وتنهب ثروته في مقابل الكفاف، وكيف تتكون طبقات انتهازية وسيطة بين الشركة وبين العمال . وتبدأ هذه الطبقة من سمسار العمال الى رئيس العمل الى مندوب الوزارة الذين يقبضون جميعا ويعيشون في رفاهية عدا العامل البائس الذي يعمل لقاء قروش في الصحراء المحرقة». (١) وقد برز في المرحلة الثالثة القاص (يوسف الشريف) في مجموعته القصصية (الجدار) ١٩٦٥ والتي تعالج مشكلة الموظف الذي يقف من رؤسائه موقف الانسان الانتهازي ويتقرب منهم ومن المحرك الاجنبي الذي يدير الامور العامة. فيبتعد عن أصدقائه وينظر اليه بأحتقار من قبل الجميع(٢).

أما قصص (احمد ابراهيم الفقيه) فكانت أكثر فنية من القصص الاخرى في مجموعته (البحر لا ماء فيه)التي فازت بالجائزة الاولى عام١٩٦٥ وأصدرتها وزارة الثقافة الليبية على حسابها عام ١٩٦٦ يتحدث في قصته (الطحالب) عن كفاح الشعب الليبي ضد المستعمرين الايطاليين «قصة كفاح دموى رهيب ضد مستعمر يستخدم الدم والارهاب الوحشي لانتزاع الارض من أصحابها. وربما كانت الخطابية والتقريرية تغلبان على هذه القصة. ولكن يبدو أن الاعمال الفنية التي تتعرض لكفاح الشعوب ضد المستعمر. محكومة دائما بالخطابية والمباشرة»(٣) :

وبرز في هذه المرحلة القاص (رمضان عبد الله) الذي نشر مجموعته (حوار في المدينة)في القاهرة. وتبرز قصة (علبة كبريت) التي دارت حول العدوان الثلاثي على مصر ١٩٥٦ قصة نضالية مهمة. «وان كتب عليها رمضان عبد الله— من من وحي الجنوب— كي تمر للنشر. فلم تمر بالرغم من ذلك—لان في ثناياها تحريضا ضد الانكليز في ليبيا—ان رمضان عبد الله خصم عنيف وعنيد للانكليز

(١-٣) احمد محمد عطية، المصدر السابق

ولكل مستعمر، كذلك (صالح) بطل قصته علبة كبريت، الفدائي الذي يعول أمه العجوز واختيه الارملتين اللتين فقدتا زوجيهما في احدى مظاهرات العمال ضد القاعدة البريطانية، ومع ذلك قرر ان يقوم بعمل فدائي ضد القاعدة البريطانية وهو ينظر شزرا الى الشبان الذين يكتفون بمعاكسة النساء الانكليزيات»(١)

وهكذا احتلت القصة المقارعة للاستعمار مكانا مرموقا في الادب العربي الحديث سواء أكان هذا المستعمر الدولة العثمانية أم انكلترا أم فرنسا أم ايطاليا. وبعد اعلان الحكم الوطني في الاقطار العربية، اتجهت القصة العربية الحديثة الى مقارعة الاستعمار المقنع وأعلان الثورة ضد الحكام المرتبطين بعجلات اجنبية فقد قارعت القصة العراقية الاستعمار المقنع بعد اعلان الحكم الوطني من قبل المنتدبين الانكليز فدارت هذه الا عمال حول اشكال الاستعمار واساليبه وطرقه التي دأب الاجنبي على تطبيقها في العراق وسائر الاقطار العربية وهي لاتعدو اذلال الشعوب وسلب خيراتهم مباشرة او عن طريق اذنابه من الحكام، وخير مثال على ذلك الاهداء الذي تقدم به محمود احمد السيد لمجموعته القصصية (الطلائع)١٩٢٩فقد اهداه«الى فتية البلاد المستعدة للجهاد في سبيل الحق والحرية مثلها الاعلى يحدوها الامل الذي لاتقوى على تحطيمه قوة في الارض»وقد انطلق هذا النداء من اعماقه الوطنية الممتدة عبر وجدانه القومي . ومن ابرز المقارعين للاستعمار المقنع المتمثل بأذناب المستعمرين من الحكام ذنون ايوب عبر مجموعاته القصصية(صديقي١٩٣٨، وحي الفن١٩٣٨، برج بابل١٩٣٩، الكادحون١٩٣٩، العقل في محنته١٩٤٠، الكارثة الشاملة١٩٤٤، عظمة فارغة ١٩٤٨، صور شتى١٩٥٤) ولناخذ مثالا على ذلك قصة(ثائر)من مجموعته (الكادحون)للموضوع الطريف الذي عالجه فيها، حيث نلاقي(وحيد)الذي يعيش على صيد السمك، يهجم(بفالته)على جيش الانكليز ويفعل الافاعيل ثم يقتله ابن عمه بغدارته، وسبب ذلك ان قبيلته أعلنت عصيانها على الحكومة لان

---

(١) احمد عطية، المصدر السابق

شيخها لم يفز بكرسي النيابة،ويدافع وحيد عن شيخه بينما يدافع ابن عمه الجندي عن الحكومة«كان منظر المقاتلين غريباً حقاً،قسم يدافع عن شيخه وقسم يدافع عن مليكه وحكومته وكلهم من قبيلة واحدة ولا اظن أنه قد خطر في بال أحد من الجنود أو من الثوار أن سبب كل تلك المجزرة كان كرسياً في مجلس النواب».(١)واذا تناول أيوب الموضوع من جانبه السلبي فقد تناول نفس الموضوع يحيى عبد الحميد (جيان) في قصته (اللهب)(٢) وتدور أحداث القصة عن ثورة العشائر في الجنوب ضد الحكومة عام خمس وثلاثين بسبب التدخل في في الانتخابات النيابية.وهي اقصوصة زاخرة بالاحداث والانفعالات والتصوير الواقعي الجيد،يقود (عذافة) جماعته من الاعراب ويهجم على القلعة التي يعتصم فيها أفراد الشرطة ويحمل حزمة شوك مشتعلة فوق رأسه مشبعة بالبترول ويهجم على القلعة ليشعل فيها النيران ومن ورائه افراد القبيلة المسلحين،وبعد أن يستولوا على القلعة يقع (عذافة) مضرجا بدمائه سعيدا بأنتصار الشعب«أحس بالنار تلامس أصابعه حيث يطبق بذراعه على كارة السعف فباعدهما .النار تتقدم محرقة حارة لاسعة،وسقطت جمرة على قفاه،وانتفض كالجريح أراد ان يقذف بالسعف من فوق رأسه وانغرزت الجمرات عند كتفيه فصرخ بألم وقوة اضرب ياعسر،اضرب النوب.

لقد تملكه عنف وحشي هائل وحث خطاه مخترقا نسيج الرصاص المتداعي حواليه».

يجيد الكاتب في تصوير شخصية (عذافة) حيث يبعث فيها قوة الحياة لانه لايصفها من الخارج فقط بكل دقائقها بل يتعمق في بواطنها ويكشف دوافعها وانفعالاتها.وينمو بها مع نمو الحدث ويأخذ من ملامحها الداخلية والخارجية مايساعده على تكثيف الأزمة .

---

(١) ذنون أيوب،الكادحون،ص ٢٨.

(٢) مجلة المثقف،العدد العاشر،١٩٥٩.

أما اذا ماانتقلنا الى روايات ذنون أيوب (الدكتور ابراهيم ١٩٣٩،اليد والارض والماء ١٩٤٨،وعلى الدنيا السلام ١٩٧٢)نجدها تدور حول مشكلة الديمقراطية الاساسية ألا وهي مشكلة العدل الاجتماعي حيث يعرض أيوب في روايته الاولى انتهازية المثقفين في العراق قبل الحرب العالمية الثانية ويعدهم أداة كأداء في سبيل التطور الثقافي والسياسي والاقتصادي للقطر لارتباطهم بالاستعمار ولانهم يخدمون مصالح أسيادهم ولا يعملون من أجل أبناء الشعب البسطاء. ومثل هذا الموقف لا يختص به العراق وحده بل هو صورة لما كان يسود العالم العربي من انتهازية سياسية بسبب الضغط الاستعماري وحكم الاقطار العربية من قبل صنائع استعمارية.بينما تعالج روايته الاخيرة(وعلى الدنيا السلام) مأساة المثقفين العرب الذين اغتربوا عن أوطانهم لاسباب سياسية،فاذا مالاح فجر الانطلاق الثوري نحروا قرابين على محراب السراب الخلب.اما روايته (اليد والارض والماء) فتعالج مشكلة الارض والاقطاع ومساندة الحكومة للاقطاعيين للتشديد في استغلال الفلاحين وجلهم من النواب الذين كانوا يحكمون العراق بصورة غير مباشرة لما يلاقونه من تأييد المستعمر وأذنابه من الحكام . وهي في موضوعها تقترب من رواية (الارض) لعبد الرحمن الشرقاوي ولكنها تبتعد عنها من حيث البناء الفني فمشكلة الاقطاع ومساندة المستعمرين له مشكلة عامة يعاني منها الشعب العربي معاناة قاسية وما زال يعاني في الاقطار العربية التى لم تمارس الاصلاح الزراعي لحد الآن.

ونتبين في قصص ذنون أيوب أن سبب هذا التخلف الفكري والاجتماعي والاقتصادي يعود الى التنظيمات الادارية التي بلغت حد التفسخ بسبب الاستعمار الكامن خلفها.

ومن أبرز القصاص الذين تناولوا موضوع التحرر السياسي في العراق في الخمسينات من هذا القرن،عبد الرزاق الشيخ علي في مجموعتيه (حصاد الشوك،

عباس افندي) ومهدي عيسى الصقر في مجموعتيه (مجرمون طيبون، غضب المدينة) وغائب طعمة فرمان في مجموعتيه (حصيد الرحى، مولود آخر) وروايتيه (النخلة والجيران، خمسة أصوات) وعبد الملك نوري في مجموعته (نشيد الارض) وصالح سليمان في مجموعته (السجن الكبير).

وما أن لاح فجر التحرر السياسي حتى وقف القاص العربي المؤيد للثورة الفرح بها، المقارن بين عصرها الطافح بالخير وبين ماكان يعانيه الشعب أيام العهود المبادة، مؤملا تجاوز السلبيات في سبيل حياة هانئة تقود الشعب الى الهناء والسعادة، فقد استقبل القصاص العراقيون ثورة تموز ١٩٥٨ بفرحة غامرة وعاطفة منفعله مع الحدث العظيم وبفيض من القصص والمجموعات القصصية وأبرز كتاب هذه الفترة(حازم مراد) في مجموعته (وتحطمت الاغلال) وجاسم محمد الجوي في مجموعته (دماء خضراء) وأدمون صبري عبر مجموعاته (ليلة مزعجة، هارب من الظلم، في خضم المصائب، خبز الحكومة).

وقد عولجت القصة التي تدور حول التحرر السياسي في الستينات من هذا القرن وخاصة بعد ثورة ١٧ تموز ١٩٦٨ بصورة أكثر فنية عند كثير من الكتاب الشباب في العراق ففي قصة (العنكبوت) (١) ليوسف الحيدري ادانة لواقع سياسي يتحمل مسؤولية كبرى امام الانسان المسحوق، فقد مسخ البطل بفعل الاضطهاد والتعذيب، قتل الطغاة شقيقه الاصغر فأصيب بصدمة عصبية اظهرته كالمجنون بالنسبة للآخرين تدفعه رغبة عارمة للانتقام من الجلادين وعندما يفقد القدرة على تحقيق هدفه بصورة ايجابية لايجد بدا من قتل العناكب فقد ارتبطت بذهنه مع مصاصي الدماء«وهو يصر على خوض حربه الخاصة حتى النهاية ضد المسخ والاضطهاد والقتل من أجل عالم أنساني نظيف»(٢).

أما في مجال الرواية فقد برزت روايات اسماعيل فهد اسماعيل (كانت السماء زرقاء، المستنقعات الضوئية، الحبل، الضفاف الاخرى) ورواية (المناضل)

---

(١) فاضل ثامر وياسين النصير، قصص عراقية معاصرة ص٢١١ .

(٢) المصدر السابق ص ٤٧.

لعزيز السيد جاسم ورواية (الوشم) لعبد الرحمن الربيعي وروايتا(مخلوقات فاضل العزاوي الجميلة والقلعة الخامسة) لفاضل العزاوي و (الزقاق الضيق) لغانم الدباغ و(شقة في شارع أبي نواس) لبرهان الخطيب وغيرها. وجميعها ترتكز على ركائز نضالية ضد الاضطهاد والاستعباد والدعوة الى التحرر والانطلاق .وخير مثال على ذلك رواية (كانت السماء زرقاء) لاسماعيل فهد اسماعيل ،حيث يخوض البطل وحول الحياة في هربه من وجه الطغاة الى (عبادان) يحمل معه ذكرياته الاليمة ماضيه النضالي، كما يحمل زميله الهارب —أحد جلاديه السابقين—وضحية جديدة من ضحايا الاستبداد كلاهما صريع جيشان عاطفي من تلك الفورات التي اجتاحت وطننا العربي. وهو في هربه يحمل صراعات نفسه التي تحاول ان تتخلص من وحول الحياة لتتطلع الى براءة المستقبل ونقائه والى الحرية التي يطمح الى نيلها ولكن رصاصة تستقر في عجيزة الضابط فتقعده عن السير وتدفعه الى الموت الذي طالما أذاقه للآخرين بينما كان يحاول التخلص من ماضيه الملطخ بالدماء فقد تلوث بطلنا بدم البراءة ذاتها.

وقد أهتم كتاب القصة في مصر بقضايا التحرر السياسي فقد صورت رواية يوسف السباعي (رد قلبي) أنتصار الثورة المصرية.كما أرخ القصاص نضال الشعب المصري ضد العدوان الثلاثي كما فعل يوسف أدريس في مجموعته (البطل) «كما كتب يوسف السباعي روايتين (جفت الدموع ،ليل له آخر) تدور أحداثهما بين مصر وسوريا في عهد الوحدة بين الاقليمين وعقب الانفصال وتصور الثانية التيارات السياسية في الفترة التي تمت فيها الوحدة وتحلل العوامل المعوقة التي أدت الى الانفصال»(١).ولمعت أسماء كثيرة في هذا المجال منهم المتمرس في الكتابة كعبد الرحمن الشرقاوي وعبد الرحمن الخميسي واحسان عبد القدوس،ومحمد عبد الحليم عبد الله.والكثير منهم شباب لا يقتحم المشكلة مباشرة ولا يستند على التقريرية ولا يلجأ الى الخطابية كما فعل الجيل السابق بل

(١) عباس خضر :ادب المقاومة ص ٦٤.

يلجأون الى الاسلوب غير المباشر كما في قصص حسن محسن ومحمد البساطي ومجيد طوبيا وضياء الشرقاوي وأحمد يونس وأحمد هاشم الشريف وسليمان فياض وأحمد الخميسي وابراهيم منصور وجمال الغيطاني الذي يعد خير مثال لهذا الجيل في مجموعته القصصية (أوراق شاب عاش منذ الف عام).وأفضل من يمثل هذا الاتجاه في مصر،نجيب محفوظ عبر رواياته السابقة على الثورة (القاهرة الجديدة،زقاق المدق،الثلاثية) نجد فيها تفاصيل ثورية للواقع السياسي، فقد انبعثت ثورتهم من الماضي المتهرىء الى أمل مستقبلي حيث يصرخ (علي طه) أحد أبطال(القاهرة الجديدة)في وجه المستعمر وأذنابه،ولا يرهبه السجن ولا الموت في سبيل تحرير بلاده من الطغاة،أما (عباس الحلو) بطل (زقاق المدق) فهو أيضا يبحث عن مكان جديد غير الزقاق مكان ينقله من ماضي الزقاق المؤلم الى مستقبل أكثر رحابة، وهذا ماتفعله (حميدة) بطلة الرواية، وبينما تترك (حميدة) الزقاق وتترك معه الماضي المظلم—على الرغم من ان المستقبل أكثر ظلاما—يعود عباس الحلو الى الزقاق ثانية ليحقق آماله المستقبلة ولكنه لم يجد غير السراب فالموت ، اما الزقاق فيستمر على ماكان عليه،وهكذا يموت عباس الحلو بضربات الجنود الانكليز وهو يحاول انقاذ (حميدة) من المهاوى التي انحدرت اليها.أليس (عباس الحلو)رمزا لهذا الجيل المصري الشاب الذي حاول ان ينقذ مصر من السيطرة الاجنبية فلم يستطع قبل أن تتحقق الثورة المصرية. ويستمر (فهمي عبد الجواد) أحد أبطال (بين القصرين)في كفاحه الثوري من أجل تحقيق الحرية السياسية غير ملتفت الى موقف والده السلبي حتى يقدم دمه قربانا للوطن في مظاهرة احتجاجية قوبلت بالرصاص فالموت.

وقدم نجيب محفوظ في مرحلته الثانية (الفلسفية) نماذج وطنية سعت الى تحقيق الحرية السياسية ضمن الاطار الذي تؤمن به ولكنها لم تكن ايجابية كما في شخصيات مرحلته الاولى(التأريخية) فهذا (عيسى الدباغ) بطل رواية (السمان والخريف)يتخلى عن كل الآمال الوردية التي كان يحيا من أجلها.لقد ترك

النضال وذهب ليساوم الفدائيين المصريين الذي قاتلوا الانكليز المحتلين بعد أن تربع في وظيفته الوجيهة التي تدر عليه مالا كثيرا عن طريق مشروع أم غير مشروع ،ولم يسلك الطريق الثوري الذي سلكه ابن عمه(حسن الدباغ) يقول (عيسى الدباغ) في حديثه مع (ابراهيم خيرت): «والحقيقة أن عقلي يقتنع أحيانا بالثورة ولكن قلبي دائما مع الماضي ،والمسألة هل يمكن التوفيق بين عقلي وقلبي»(١)وينتهي(عيسى الدباغ)في آخر الرواية الى قاعدة تمثال سعد زغلول يتابع بنظراته شابا أسوداً يحمل زهرة حمراء في عروته يسير بأمل في الطريق الطويل المفتوح.انافريقيا تستيقظ ثائرة على مستعبديها ،فهل سيحفز ذلك(عيسى الدباغ)ويعود الى عقله؟نعم هذا مايريده نجيب محفوظ حيث ينهي الرواية بهذين السطرين «وانتفض قائماً في نشوة حماس مفاجئة ومضى في طريق الشاب بخطى واسعة تاركاً وراء ظهره مجلسه الغارق في الوحدة والظلام»(٢).

وقد عالج أزمة المنتمي القديم في روايته(الشحاذ)حيث يستمر(عثمان خليل) في نضاله من اجل قضية سياسية،بينما يلقي رفيقه في النضال(عمر الحمزاوي) اسلحته ويرضى بحياة راكدة يبحث جاهداً عن طعم حقيقي لها فلا يجد الا بتقديم نفسه فداءا لصديقه السابق—الذي هرب من السجن—عندئذ يهدأ من ذلك القلق السرمدي الذي اكتنف روحه كما تسرب الى حياته.

وما لبث نجيب محفوظ ان نقلنا الى انماط من المناضلين السياسين والمنتمين الذين لم يفقدوا ايمانهم بقضيتهم رغم انسحاقهم وهروبهم من المجابهة الايجابية في الصراع الدائر بين العدالة والظلم.نلتقي في بنسيون(ميرامار)(بمنصور باهي)وهو صورة اخرى لعمر الحمزاوي«هو ثمرة هذا الانحناء الدائم للعاصفة الذي عرفنا بدايته في عمر الحمزاوي فقادته الى الارتداد فالخيانة مرموزاً اليها بالعلاقة بينه

(١) نجيب محفوظ ،السمان والخريف ، ص ١٢٦.

(٢) نجيب محفوظ ،المصدر السابق ص ١٩٨.

وبين زوجة استاذه فوزي.على ان الاضافة الهامة التي يضيفها الكاتب في هذه الرواية هي شخصية (سرحان البحيري)الذي يمثل الانتماء الى الثورة بغير ان يختلف معها في الواقع ولا يستقل عنها في الماضي، كان(سرحان)عضواً نشيطاً بمنظمات الثورة تدرج في مسؤولياتها حتى وصل ذروة مايرجوه في مجلس ادارة الشركة التي يعمل بها ولكن الوجه الاخر له كان الانتفاع بالثورة لا النضال عنها، فاختتم حياته هذه الخاتمة الرمزية العنيفة أخفق في احدى الصفقات المثيرة وانكشف أمره فانتحر»(١).وهكذا لم يقتصر نجيب محفوظ في روايته على النضال السياسي قبل الثورة بل وما بعدها أيضا.

أما في الادب الشامي عامة بعد الحرب العالمية الثانية فقد طرحت قضايا سياسية تحررية مختلفة، حيث يقف(سهيل ادريس)في روايته(اصابعنا التي تحترق)موقفاً معادياً من اولئك الذين يدعون الى جعل لبنان للبنانيين من الاحزاب المشبوهة كالحزب القومي السوري ويدعو الى اندماج لبنان في الوطن العربي الكبير وتصدر اعماله عن شعور قومي دافق.(٢)وقد لمع اسم(مطاع صفدي)ككاتب قصة منذ أوائل الخمسينات عندما فاز في مسابقة مجلة الاداب بالجائزة الالى للقصة القصيرة عام١٩٥٣عن قصته(صفعة السوط)وقدم نموذجاً جديداً من القصص في مجموعته(أشباح أبطال)فهو يقول في مقدمة المجموعة شارحا رأيه في(البطل في القصة الثورية): «القصة الثورية لاتدعي انها واقعية بالمعنى الذي رأيناه فهي تتمثل صيرورة الواقع الانقلابي من خلال الاشكال الوجودي الذي يعانيه ابطال هذه الصيرورة وهي لاتنتقي ابطالها وانما تدعهم ينتقون انفسهم بحسب شدة وعيهم لشرطهم الثوري.ان مقياسها هو مقياس كل فرد منهم عندما يجهد ليكشف معنى الصراع الذي يعانيه في بذرة وجوده بين تناقضاته الخاصة، محاولا أن يجد نقطة التقاء صراعه الفردي بالصراع القومي العام الذي يشارك هو فيه

---

(١) غالي شكري، الادب العربي بعد الخامس من حزيران، الاديب العربي ومشكلات العصر الحديث، ابحاث ووقائع مؤتمر الادباء العرب السابع، ١٩٦٩، ص٦٢.

(٢) عباس خضر، المصدر السابق، ص ٦٤.

كفرد من الطليعة الانقلابية»(١)وقد أكد نظرته هذه في روايته(جيل القدر)حيث يعمل البطل على قتل زعيم سياسي حاكم ليخلص البلد من دكتاتوريته وقد طرق (هاني الراهب)، نفس الموضوع في راويته (المهزومون) ويلتزم كل من سعيد حورانية عبر قصصه وعبدالله عبد في مجموعته(مات البنفسج)بالمنهج الديالكتيكي، لتصوير الصراع ضد قوى الظلم والجبروت لتحقيق الحرية والحياة الكريمة «ولكن بعض قصص حورانية وباقي الكتاب الماركسيين يفسدها شدة الانضواء السياسي لتنحرف باتجاه المبالغة الدعائية حتى لتنشز عن الواقعية الحقة وتنحو نحو التركيب والتحريف»(٢).

أما الذين كتبوا في مجال القصة التحررية فكثير نذكر منهم: عبد السلام العجيلي، ألفة الادلبي، وليد اخلاصي، حيدر حيدر، زكريا ثامر وغيرهم.

أما القصة السودانية فقد اهتم الجيل الاول(أحمد محمد محجوب، عبد الحليم محمد، معاوية محمد نور، محمد عشرى)بالقصة المحلية التي تعالج مشاكل اجتماعية أما الجيل الثاني فقد اهتموا بعرض صراع العمال ضد الرأسماليين والفلاحين ضد الاقطاعيين«وفي قصص عبد الله علي ابراهيم نجد اهتماماً بمشكلات عمال الصناعة فهو من بلدة عطبرة مهد الحركة العمالية في السودان.وقد نشر في العدد السادس من المجلة قصة(شيء له أبعاد)وتدور احداثها في مدنية عطبرة»(٣)

وتطغى هذه المعالجات المحلية في كتابات: الطيب صالح خليل عبدالله االحاج وعلي الملك، ويشذ عنهم(أبو بكر خالد)الذي عالج في روايته(النبع المر) النضال السياسي الشعبي ضد الحكم العسكري في السودان الذي استمر منذ عام ١٩٥٨وحتى عام١٩٦٤حيث تروي الرواية الاوضاع المتردية التي سيطرت على السودان واستغلال الشركات الرأسمالية الاجنبية لخيرات السودان وعملية شراء الضمائر واعداد كوادر من العملاء الذين يغرون بالاموال والمناصب ليقفوا

---

(١) مطاع صفدى (أشباح أبطال)، ص٧.

(٢) رياض عصمت (الاتجاهات الادبية لفن القصة القصيرة في سوريا) مجلة المعرفة، العدد ١٠٨، ١٩٧١.

(٣) محمد زغلول سلام (القصة في الادب السوداني) ص٩٠.

الى جانب المستعمر المستغل ضد ابناء جلدتهم، ولكن الشباب المثقف الواعي تحت قيادة عناصر اشتراكية عملوا على تغيير هذا الوضع الشاذ لانهم كانوا يؤمنون بحتمية التغيير(١).

وقد كان للصراع العربي الاسرائيلي الاثر الكبير في القصة العربية فقد تناول القصاص العرب هذه المأساة بالمعالجة والتحليل والدراسة. ووقف القاص العربي الى جانب الجندي العربي يقاتلان من اجل القضية الفلسطينية واذا عمل الحكام آنذاك على خذلان الجندي العربي الباسل فأن القصة استطاعت التعبير عن مكنونات النفوس حول هذه المأساة فظهرت عدة قصص وروايات تدور حول القضية الفلسطينية ونظمت أشعار عاطفية كثيرة ولكن. ما دور الفن القصصي في معركة المصير؟ لقد ألف الدكتور بديع حقي رواية (التراب الحزين) وقدم عزمي لبيب (وجوه جديدة) وقدم أمين ملحس اللبناني (من وحي الواقع) وقدم نجاتي صدقي (الاخوات الحزينات) وكتب عبد السلام العجيلي (كفن حمود واينما كان) من مجموعته (الحب والنفس) و(بنادق من لواء الجليل وبريد معاد) من مجموعته (قناديل في اشبيلية). كما جاءت قصص (ألفة الادلبي) عن موضوع فلسطين ساذجة وانفعالية وكتب(سعيد حورانية) أقاصيصه(حمد دياب. قيامة العازار) من مجموعته (شتاء قاس آخر) وقصة(من يوميات ثائر) من مجموعته (سنتان وتحترق الغابة). أما وليد اخلاصي فقد كتب عن القضية الفلسطينية في مجموعته (دماء في الصبح الاغبر) قصتي (ابو سطيف يحرق خان الشوربجي. الآلام الرائعة) كما اصدر مجموعة قصصية باسم (زمن الهجرات القصيرة) اهداها الى مناضلي فتح وهي مجموعة لا تمثل قصص(اخلاصي) ولا تمتلك البعدين الفكري والانساني الكافيين لمعالجة قضية بمثل هذه الاهمية. فجاءت القصص قصيرة جدا ومبتسرة أقرب الى (المليودراما) منها الى الفن القصصي الناضج.

---

(١) محمد زغلول سلام، ص١٢٧.

ففي (قصة فلسطينية) مثلا يسأل محمد والده : متى سنعود؟ولكنه لا يتلقى جوابا. يموت الاب بالسل ويحقد محمد على الحياة ثم يتزوج ويسأله أبنه أحمد عن الوقت الذي يستطيع فيه القتال فيجيبه الأب عندما تبلغ الرابعة عشرة وعندها يهتف الابن :متى أبلغ الرابعة عشرة يالهي؟ .

أما القاص العراقي فلم يهتم كثيرا بالمسألة الفلسطينية في الخمسيات من هذا القرن عدا قصص مبعثرة هنا وهناك في بطون الصحف والمجلات والمجموعات القصصية وجميعها تغلب عليا النزعة العاطفية والمليودرامية وتفتقد الاحساس الفني الاصيل.فقد صور هؤلاء الكتاب في اقاصيصهم المطرودين من أرضهم واللاجئين وصوروا شقاءهم وبؤسهم وأحزانهم مما أدى الى طغيان العنصر الحماسي والعاطفي والدعاوى على العنصر الفني .

وفي مجال الشخصيات اعتمد القصصيون على رسم المشردين والبائسين فبدت في صورة ثابتة مفتعلة مسطحة لا أبعاد لها وقد تحولت هذه القصص الى مقالات حماسية أوريبورتاجات صحفية.وضيقوا من الدلالة الرحبة للمأساة وداروا في حلقتها القومية ولم يقفوا الا عابرين عند دلالتها الانسانية.ولا شك ان النكبة في فلسطين مأساة انسانية الى جانب مظهرها القومي.فقد تضمنت مجموعة حامد غضبان الراوي (ازاحة الستار) الصادرة عام ١٩٤٩ قصصا تصور مأساة فلسطين وتمثل هذه المجموعة نفسية العربي الهارب من الواقع الى الخيال الذي يمكن ان يكيفه الانسان كيفما يريد فقد خلق الراوي مجتمعات وأناسا حسبما يشتهي عن عقيدة واخلاص وخلق احزابا سرية تدافع عن العرب وجنسهم وخلق حكاما يؤمنون بكلام المتهمين السياسين فينتمون الى منظماتهم بيسر وسهولة لانهم يدافعون عن العروبة ويعملون في سبيل استرداد فلسطين كما في أقصوصة (هل أنا مجرم) مثلا.

أما قصة عبد المجيد لطفي (ضحايا وشهود)(١) فهي ليست الا ريبورتاجا صحفيا عن مذبحة دير ياسين .وأقصوصة (دمعة محمود) تصور لاجئا فلسطينيا

(١) مجلة الدليل، العدد التاسع ، ١٩٦٨.—

يعمل خادما عند اسرة عراقية يأمل في العودة الى يافا وهي من مجموعته (في الطريق).

أما اقصوصة نزار سليم (أشباح وظلال) من مجموعته (أشياء تافهة)فهي تمثل فريقا من اللاجئين يبثون رسائلهم الى ذويهم المشتتين في ارجاء الوطن العربي ويعرض الكاتب صورا قاتمة من حياة اولئك البائسين ويسخر من موقف الدول العربية آنذاك تجاه المأساة. صور في القصة نوازع نفسية متفرقة في وقفة الفتاة الفلسطينية أمام المذياع تتوافر أمام ناظريها رؤى كثيرة تحمل كلها طابع الفجيعة. واذا كان الكتاب في حديثهم عن فلسطين قد استطاعوا ان يعبروا تعبيرا صريحا ومباشرا عما يريدون الجهر به. هو تصوير أثر النكبة على الشعب الفلسطيني خاصة والشعب العربي عامة في الخمسينات من هذا القرن، فقد ارتفعوا في الستينات عن هذا المستوى التقريري الى مستوى آخر أكثر فنية حيث يعالج محمد خضير في قصته (الارجوحة) جانبا انسانيا من الصراع ضد الصهيونية والاستعمار ففيها تجاوز للموت وارتباط بالحياة والمستقبل والامل الانساني فبدلا من أن يحول موت الجندي الى مليودراما تستدر الدموع استطاع القاص ان يكسب القضية وجها جديدا عبر امتداد الحياة ويستمر الجندي المراسل والفتاة بعيدين عن شبح الموت مستمرين في نهر الحياة فهو لا يقف أمام الفجيعة بل أمام الحياة المتفجرة المتجددة دائما وقد سار (أحمد خلف) في قصتيه (خوذة لرجل نصف ميت. وصمت سرى يضيء) وجليل القيسي في (زليخة، البعد يقترب والطيور المهاجرة تأخرت) من مجموعته (صهيل المارة حول العالم)وقصته (معسكر الاعتقال الصحراوي رقم ١٢٥) وجمعة اللامي في قصصه (اهتمامات عراقية، البحر والعنقاء، ساعات من زمن آتي. حكمت الشامي)(١). نهج هؤلاء نفس الطريق الذي نهجه كتاب الخمسينات ولكن بفنية أكبر. وقد عالجت هذه القصص حركة المقاومة المتصاعدة لدى الناس البسطاء داخل الارض المحتلة والعناية بالبراعة الفنية في خلق الاثر الكلي.

وتدور رواية عبد الرزاق المطلبي (ثقب في الجدار الصدىء) حول الصراع

(١) فاضل ثامر– المصدر السابق ص ٢٩،٥٢

الاسرائيلي حيث نجد (مختارا) قائد الجماعة يفقد منزلته بينهم ويظنون به الظنون مما يدفعه الى النزوح بعيدا عن قريته على حين يثق أهل القرية بموسى اليهودي الذي ينقل الاخبار للسلطات الصهيونية ويمكن اليهود من سكان القرية العزل.ولكن مختارا ينجح في القبض على موسى وقتل القائد اليهودي، كل ذلك بطريقة مليودرامية عاطفية خالية من الجمال الفني وهكذا يفشل عبد عبد الرزاق المطلبي في معالجة هذه المأساة.ومثل هذا الهبوط الفني نجده عند أكثر كتاب الستينات الذين عالجوا المسألة الفلسطينية.

واذا ماانتقلنا الى القصة والرواية في مصر نجد انهما عالجتا هذا الموضوع بصورة اكثر جدية من الناحية الفنية.فقد كتب(جميل عطية ابراهيم)قصة بعنوان (القاهرة في العشرين من سبتمبر) صور فيها شاباً وفتاة يسيران في شارع قاهري في العشرين من ايلول عام١٩٦٧،ويتكون نسيج القصة من دقائق تافهة تتخلل المسيرة في يوم عادي ويلتصق الاسلوب بسطح الاشياء بالاشارة الى الحرب وقد صدرت قبيل الهزيمة.مجسداً فيها احساس رجل يخرج من السجن ولم يجد في انتظاره أحدا.فقد بات غريباً في مجتمعه وفقد بطولته.ولم يعد مناضل الامس القريب منذ صفيت نضاليته وصلابته داخل نفسه.وأضحت حياته خالية من كل جمال.سلوته الوحيدة أحضان امرأة وأكلة شهية.ثم أصدر رواية أخرى تعد امتداداً لروايته الاولى ولكنها لم تضف جديداً.فهي تصور فقدان الصلة بينه وبين العالم بعد ان نفوه من الداخل واقتلعوا جذوره من الارض.

وتصور قصة جمال الغيطاني(أيام الرعب)مأساة الانسان العربي فالبطاقة الهوية تعلن ان ميلاده عام ١٩٤٥،وتخترق النصال جلده وتصل الى النخاع ،لانه يمثل جيلا تجاوز الهزيمة وتحداها في مختلف أبعادها.وعندما ينتهي الامر بمحروس بطل القصة الى الجنون يحاول(عويضة)أنقاذه بثبات وثقة.وتعطينا صورة محروس دلالة على الضياع الذي أوشك الانسان الفلسطيني ان يعيشه والذي يرى في الموت والجنون لعبة الحياة لولاان تدارك الفدائيون الفلسطينيون الموقف.

وقد عالجت القصة الجزائرية المسألة الفلسطينية ففي قصة(عائدون)لحنفي بن